

تشابهات بين مجزرتين



الخميس 14 أغسطس 2014 12:08 م

كتب - د/ بسيوني نحيلة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

لا يمكن أن تكون التشابهات أمراً عارضا، أو حدثا غير مقصود، ربما يكون ذلك صحيحا، إذا كان التشابه محدودا بنسبة قليلة، أما أن يصل التشابه إلى حد التطابق، فذلك مما يدعو إلى البحث والدراسة، والتفكير والاعتبار [ومجزرتنا (غزة العزة) و(رابعة الصمود) من النوع الذي كثر التشابه فيه إلى حد يثير العجب والاستغراب، ويؤكد وحدة المصدر، كما يشير إلى اتحاد الفاعل وراء هاتين المجزرتين]

ومن خلال هذا المقال، نستعرض أهم نقاط هذه التشابه، ليحيى من حيٍّ عن بيعة، ويهلك من هلك عن بيعة:

الزمان: كانت البداية في شهر رمضان المبارك، عند الحرس الجمهوري والمنصة، حيث بدأ القتل بالمئات، غدرا، وظلما، وعدوانا، فلم يزد القتل الصامدين في ميدان رابعة إلا ثباتا وإصرارا [وفي نفس الشهر الكريم كانت غُلُوج الصهاينة بسماء غزة، تحصد المئات، بدون سابق تنبيه ولا إنذار] ثم كانت المحرقة الكبريفي الأيام الأولى من شهر شوال، شهر عيد الفطر، ففي ميدان رابعة الصمود، والنهضة، ورمسيس... وغيرها أتى الإجرام بلا قلب، ولا إحساس، وبعشوائية لا تعرف بين البشر، على آلاف الشهداء والجرحى من الأبرياء المسالمين [وفي غزة الصمود، ومع العيد، أيضا، كانت مجازر الصهاينة الحاقدة في الشجاعة وخزاعة، ورفح... وغيرها لا تفرق بين حجر ولا شجر، ولا بين إنسان وجما، تحصد آلاف الشهداء والجرحى من المواطنين الأحرار] المكان: في قطعة من فلسطين الأبية، تسمى (غزة العزة)، أبى رجالها، ونسائها، وأطفالها، إلا أن يعيشوا أو يموتوا أحرارا، كما خُلِقوا أحرارا، يدفعون الغاصب المحتل للأرض والوطن، فحوصروا من جميع المنافذ والمعابر [

وقطعة من مصر الحبيبة، تسمى (رابعة الصمود)، أصر المعتصمون فيها على الحرية والكرامة، والوقوف أمام الغاصبين لإرادة الأمة المحتلين للسلطة، فحوصر أهلها يوم المذبحة من جميع المخارج [وقيل: هناك مخرج آمن لمن ترك الميدان، ولم يكن المخرج المزعوم إلا بابا من الذل والهوان، فكان الاعتقال والسحل والتنكيل بالشرفاء الأماثل] وفي غزة قالوا: هناك معبر لجار عربي شقيق، لم يكن فيه إلا الطرد والمذلة والامتهان للأحرار الشجعان [وفي كلا المكانين كانت كاميرات النفاق والعمالة، تقوم بالخدعة، وتزين البهتان، وتزور الحقائق! من أجل تضليل الرأي العام في الداخل والخارج]

الجريمة: لم يشهد التاريخ المعاصر مثيلاها، قتل المدنيين الأبرياء، قصف الأطفال البراء، حرق الجثث والجرحى أحياء، إحراق المساجد، وهدمها، واستباحة الحرمات والأعراض والأموال، تدمير المدارس، تأميمها، أو قصفها، تزوير الحقائق والوفائق، نشر الأكاذيب والأباطيل، تلفيق التهم، وتشويه الوعي، وإماتة الأحاسيس، وإشاعة الفرقة، وتعمد التضليل، والحنث في اليمين، والغدر في الأمان والعهود [

الضحايا: في غزة العزة ورابعة الصمود، كانوا هم الرجال والنساء، والأطفال والشيخوخ، الركع السجود، الصائمون القارئون للقرآن، الصامدون المستمسكون، الصابرون المرابطون، الذي لا يملكون إلا حناجر التكبير والتهليل، وطلقات الحوقلة والحسبة، وسلاح الأكف بالدعاء، وسهام الشكوى إلى الله بالسحر [عزتهم وكرامتهم فيما قاموا من أجله، الحرية والتحرير، والعزة والكرامة] وصفهم الغاصب الغشوم، الفاجر الحاقد، بأنهم جميعا (إخوان مسلمون)، ورامهم بأنهم (إرهابيون مخربون) فكانت هذه تهمتهم؛ ومن أجل هذا شُفكت دماؤهم، واستبيحت أعراضهم، وبرر المجرمون قتلهم، وسوّق الدهماء مجازرهم [سبب المجزرتين: أرض احتلت واغتصبت بتواطؤ عالمي، وسكوت إقليمي، ودعم محلي عربي، فهبت فلسطين وفي طليعتهم أشاوس غزة، ينادون بتحرير الأرض وكرامة الإنسان، ومقاومة المحتل الغاصب، ورفع الظلم والحصار، وإنهاء الاحتلال]

إرادة شعب شُلبت، وسلطة اغتصبت، وثورة أمة سُرقت، بمؤامرة دولية إقليمية، ودعم عربي محلي، فقام المصريون وفي مقدمتهم أسود رابعة، ينادون باسترداد الإرادة والشرعية، ومقاومة الخيانة والعمالة، ورفع الظلم والحصار عن مكتسبات الأمة ورجالاتها [

هدف المجزرتين: في غزة ورابعة: أرادوا إسكات زئير الأسود الصّاع بالحق، وإخماد جذوة الحرية والكرامة المتقددة، وإخفاتها للنخوة ولهيب العزة والحماسة في شباب الأمة، وإرهاب المتعاطفين المترددين، وإطفاء نور الحق الأبلج، وإحلال ظلمات الضلال والإذلال، وقمع الفضيلة، ونشر الرذيلة

أرادوا إسلاما ساكتا قابعا لا حراك فيه، ومقاومة ناعمة على صيغتهم؛ فقررروا القضاء على روح الإسلام الحق، الذي هو: دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء، وسيلة الأحرار في مجابهة المجزرتين: السلمية هي الشعار والمنهج السلمية التي تعني عدم الخنوع والخوف، وعدم الركوع والركون، وعدم الذل والاستسلام، وعدم النزول على رأي الخونة والمعتدين

سلمية لا تهاجم بالعنف، كما أنها لا تستسلم للهجوم سلمية لا تعتدي، ولكنها ترد كيد المعتدين، سلمية لا تعرف الفجور ولا الطغيان، ولكنها تؤزق الفجار وترهب الطغاة سلمية تؤمن بأن الموت دون العرض والأرض والمال والحرية والدين هو أصل الشهادة، وباب الشهداء سلمية: تزيدها الدماء والأشلاء صمودا وعزة وإباء، سلمية: لا تنتهي إلا بالنصر أو الفوز

المفاوضات: أرادوا أن تكون استسلاما وخنوعا، ومذلة وركوعا، ومفاوضات يملئها طرف مستعل بآلة البطش والطغيان، ويبد ملوثة بالدماء فبعد اغتصاب الإرادات والحريات، وقتل وخطف المئات، وإهدار كرامة الألوف، وسرقت ونهب الأموال والمقدرات؛ أرادوا في مصر أن يفاوضوا بالإفراج عن المعتقلين زورا، وإسقاط الأحكام المعلقة، ووقف آلة القتل والدمار الآتمة، بشرط الرضى بالأمر الواقع، والتنازل عن وقفات الصمود وصمود الوقفات، وبإسكات شعارات الحرية والشرعية وفي غزة: بعد احتلال الأرض والمقدسات، وقتل المئات من الأطفال والنساء، وتخريب البيوت والمساجد، ونهب المقدرات، ففاوضوا بوقف القتال الإجرامي، أمام وقف المقاومة الباسلة، وفتح المعابر المذلة، أمام نزع سلاح العزة والكرامة، وبدفع المليارات، أمام دفن الروح الواقدة الوثابة نحو الآخرة وجَّهَل المفاوضات الأقزام إن أصحاب المبادئ الربانية والقيم الصادقة لا يفاوضون إلا بالعزة والكرامة، ولا ينزلون على رأي الفسقة المجرمين، فإما حياة تسر الصديق، أو صمود يغيظ العدى

إعلام الأشرار: في رابعة الصمود وغزة العزة، خرجت أبواق الشر من اللثام، ممن يسمون إعلاميين وإعلاميات، ينفثون الدُّبّ والحُبّ، وينشرون القذر والزبل، فجعلوا الضحايا الشرفاء مجرمين عملاء، والقاتلين المجرمين أشاوس وأبطالاً! وقاموا يصفون المقاومين البواسل بالإرهابيين الأشرار، والمحتلين الجبناء بالمحررين الأطهار! وصفوا الحرائر الطاهرات العفيفات بأنهن فاجرات عاهرات، ورفعن العاهرات المومسات إلى منزلة الأمهات المثاليات! ورموا الشباب الحر الغيور بالتغيب والتضليل، وجعلوا البلطجة والتحرش والاعتصام رمزا للمواطنين الشرفاء!.

وغاظهم، وأقلق مضاجعهم، وأماتهم كمدا، أصوات صدعت بالحق من دول عَزَّت بانتماؤها للحق وأهله، وقنوات إعلامية ارتفعت بنزاهة القول والفعل، وأفراد شرفاء رفضوا العمالة والضعف، تحركوا بإحساس الإنسانية، وقلب الآدمية، وضوابط المهنية، فنطقوا بما سمعوا، وأسمعوا بما رأوا، وقررروا الوقوف مع الأمم والشعوب لاسترداد الحقوق المسلوقة، ونصرة المظلوم المستغيث، فما كان جزاؤهم إلا أن رموا جميعا -بسبب مواقفهم الشامخة في غزة ورابعة- بدعم الإرهاب، ومؤازرة الإخوان، ولم يقف الأمر عند ذلك إنما كان التحريش عليهم، والتأليب على مصالحتهم، والاعتداء السافر على أفرادهم ففي رابعة، استهدفت الكاميرات الصادقة، وقُتِل، وقُتِل، واعتُقل من الصحفيين الأحرار، وأُغلقت القنوات والمكاتب الإعلامية، وحوكم أفرادها

وفي غزة لم يختلف الحال، فكم من صحفي قُتل قنصا! وكم من مكاتب لقنوات محايدة قُصفت غدرا! وكم من اتهامات نُسبت إلى أحرار الصحافة والإعلام افتراء وزورا!.

مخاسر المعتدين: فقدان الآدمية، فالإيغال في القتل، والتمادي في الفجور، والتباهي بالعدوان على الأطفال والنساء، وتبرير فعل المجرمين الأفاكين، وتزيين شرور وسوء أعمال الخائنين الغاصبين، دليل على إماتة الحس الإنساني وضياع قلب الآدمي، وبإلها من خسارة! يقول تعالى: (نسوا الله فأنساهم أنفسهم). فقدان النصراء المخلصين، والمؤيدين الصادقين، والمدمعين المتجردين إن من أسوأ ما يعاقب به المجرمون في الدنيا: زمرة المنافقين، وحاشية المنتفعين، وطاعة الجبناء الخائفين، ومشورة المدهانين، يقول تعالى: (فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين). فمقام الإنسان يعرف بمن حوله! فهو الخزي في الحياة الدنيا! يقول تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا).

مكاسب ومبشرات: التمايز والتباين بين المؤمن والمنافق، والصادق والمخادع، والأمين والعميل، من أعظم مكاسب المواجهة بين الحق والباطل يقول تعالى: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطالعكم على الغيب) فميزت رابعة الصمود الحق من الباطل، والمواطن من العميل، والصديق من الكاذب اللجوج، وعلماء الدين والآخرة من علماء السلطة والدنيا، وأحزاب الزور والبهتان من أحزاب المبادئ والإيمان أما غزة العزة، فقد كشفت المخبوء، وأبانت المستور، صهاينة يسوسون بلاد العرب والمسلمين، يختبئون خلف اللغة والثوب والدين، ويتوارون خلف الشعارات المزيفة، والأهازيج الهابطة: فأسقطت غزة الأقنعة، وأبانت العورات والسوءات! فلم تعد الأمور سقطات في لحن القول، ولا تسريبات الكواليس، التي يدركها المحللون، إنما أصبحت تصريحات في ظاهر القول وعلنه، يفهما العامة والغافلون

وكان من نتائج التمايز أن وُضع الخبيث بعضه على بعض، وتراكم الباطل بعضه فوق بعض، مما يعهد لما وعد الله به في قوله: (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون).

إن من أعظم مكاسب المجزرتين، أنهما أعلنتا عن ميلاد جيل جديد، به ينتصر الحق، ويمحق الباطل، فهم مفرزة الإيمان، منهم اصطفى الله الشهداء، ورفع الله قدرهم بما يلقونه من شدة التمحيص، وميز الظالمين، وبهم سيتم وعد الله الأكيد، نصر الدنيا وجنة الآخرة

تمعن قوله تعالى في سورة آل عمران: (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم يعلم الله الذين آمنوا منكم ويعلم الصابرين).